# التماسك الاجتماعي في التصور الإسلامي

د. عبدالرحمن محمد العيسوي

## ١ ــ أهمية التماسك الاجتماعي في العصر الحديث ..

منذ أقدم العصور والمجتمعات تحرص أشد الحرص على تحقيق الوحدة والاتحاد بين صفوف أبنائها بحيث يتمتعون بالترابط والتماسك الاجتماعي Social Solidarity والتساند الاجتماعي Social Cohesion(١). وفي العصر الحديث ازداد اهتمام القادة والمصلحين بتحقيق التماسك الاجتماعي بين أبناء مجتمعاتهم، وذلك للوقوف صفاً واحداً في مواجهة الحركات المعادية التي تسعى للفت في عضدهم، وإثارة الفرقة والانقسام والخصام بين أبناء المجتمع وطوائفه وطبقاته المختلفة، عملاً بالمبدأ الاستعماري واللاأخلاقي القائل «فرّق تسد» فتراهم يحرضون طائفة على أخرى، أو يحرضون الأقلية ضد الأغلبية، أو النساء ضد الرجال أو الشباب ضد الشيوخ أو العمال ضد أصحاب العمل يحرضون المحكومين ضد الحاكم أو الأبيض ضد الأسود، وهكذا لأن انتشار المنازعات الداخلية يمتص طاقة المجتمع ويبدد قوته وينال من صموده وقدرته على الدفاع عن نفسه واستقلاله.

ويؤدي النيل من الوحدة والاتحاد والتماسك إلى ضعف المجتمع، فيسهل قهره، فضلاً عن امتصاص طاقته واستنزافها وإلهاء المجتمع عن العمل الجاد في سبيل التنمية والازدهار الاجتماعي والاقتصادي. ومن خلال الانقسام تجد القوى المعادية منفذاً للتسلل إلى داخل المجتمع وتفتيت قواه، ولذلك فالتماسك الاجتماعي يعطي المجتمع قوة وصلابة ومناعة، ويساعد القادة على الانصراف نحو بناء

المجتمع، وتطويره، وتحديث أوجه الحياة على أرضه، وهو السبيل إلى تحقيق الآمال العراض لأفراد المجتمع، ولذلك فإن التماسك الأجتماعي جدير بكل اهتمام ورعاية ودراسة وبحث بغية التعرف على معناه ومضمونه والعوامل التي تؤدي إلى مزيد من التماسك والترابط والتساند والتحاب والتراحم، وتلك العوامل التي تنال من هذا التماسك.

وما أحرانا أن نتماسك ونتحد ونلتف حول قادتنا، ونحن أبناء أمة الإسلام، وقد دعانا الإسلام إلى الوحدة والاتحاد والتماسك والتعاون والتآخي. وحرص إسلامنا، كل الحرص، على وحدة الجماعة وتماسكها، والقضاء على أسباب الفرقة والانقسام والخصام، بنشر المساواة والعدالة وتكافؤ الفرص والحق والتعاون والإخاء والتضامن والتكافل ومساعدة الغني للفقير... الخ.

## ٢ ـ تعريف الجماعة وأهدافها:

- كيف يمكن تعريف الجماعة؟
- هل الزوج وزوجته يمثلان جماعة؟ هل المسافرون على متن طائرة معينة يعدون جماعة؟
- هل الذين يجلسون في مسرح لمشاهدة مسرحية ما يمثلون جماعة؟

أم أن الجماعة Group هي مجموعة من الناس الذين يتوحدون Indentify مع بعضهم البعض، أو يتقمصون بعضهم البعض؟ أي أنهم هؤلاء الذين يشعرون بأنهم ينتمون إلى بعضهم البعض؟ هل الجماعة هي أولئك الناس الذين يشتركون في أهداف مشتركة Common Goals ، والذين يعتمدون على بعضهم البعض؟ أم أن الجماعة تتكون عندما يتم تنظيم Organize مجموعة من الأفراد؟(٢).

هذه بعض العناصر التي استخدمها علماء النفس في تعريف الجماعة. ولكن وفقاً لتعريف مارمُن شو Marvin Shaw لا بد وأن يقوم بين أفراد الجماعة نوع من التفاعل Interaction أي التأثير المتبادل أي الأخذ والعطاء أو التأثير والتأثر ويعبر ذلك عما سماه «بدنياميه» الجماعة أي حركتها وتغييرها وتطورها Group Dynamics ، وأن حالة التفاعل هذه تقوم في جميع الجماعات.

ولذلك نراه يعرف الجماعة بأنها فردان أو أكثر ممن يتفاعلون، والذين يؤثر الواحد منهم في الآخر وفي نفس الوقت يتأثر به Influence one another وعلى ذلك فالزوجان يمثلان جماعة لأنهما يتفاعلان(٣) ، ويؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به.

أما عن أهداف الجماعات فيمكن أن تتكون الجماعات من أجل تحقيق الآتي:

**أ ـ إشباع حاجة الفرد للانتماء لجماعة** The need to belong to agiven group

**ب ـ إمداد الفرد بالمعلومات والمعارف والحقائق والخبرات والمهارات.**

**جـ ـ تقديم المكافآت والجوائز والمنح للأفراد.**

**د ـ تحقيق أهداف معينة** To accomplish goals

وفقاً لما سبق ، فإن ركاب طائرة ما لا يشكلون جماعة رغم تواجدهم المادي مع بعضهم البعض، لأنهم مجرد تجمع Collection لعدد من الأفراد أكثر من كونهم جماعة حقيقية متفاعلة متكاملة يؤثر ويتأثر بعضها بالبعض الآخر.

ومن الجدير بالملاحظة أننا نقضي معظم حياتنا في جماعات، ابتداء من جماعة الأسرة، والمدرسة، والأصدقاء، والجامعة، وجماعة زملاء العمل، أو زملاء النادي، أو جماعة الكشافة، أو الجوالة وما إلى ذلك. ولقد وجد أن سلوك الفرد يتحسن من مجرد وجود بعض الزملاء الذين يشاهدونه، وإن كان هناك بعض الأعمال الصعبة أو الدقيقة التي يؤديها الإنسان بصورة أحسن وهو بمفرده.

ولقد وجد أن العمل يصاب **بالإعاقة** إذا لم يتم تحديد المسئولية تحديداً دقيقاً؟ من أفراد الجماعة ومنها كانت ضرورة فرض النظام ووضع اللوائح التي تنظم سلوك الأفراد وتحديد مسئولية كل منهم.

وعندما تزداد إثارة الجماعة للفرد في حالة عدم وضوح المسئولية، فإنه يفقد الشعور بفرديته ويتصرف بطريقة اندفاعية كما يحدث في المظاهرات، حيث يفقد الإنسان وعيه وحكمته وتعقله. ولقد وجد أن المناقشات التي تعقدها الجماعة تقلل من وقوعها في الخطر وتقوى وجهات النظر، وأن التفاعل يؤدي إلى تدعيم الآراء وكثافتها.

ومن بين مظاهر تأثير الجماعة فينا إمدادنا بالمعلومات من خلال المناقشة، وتزويدنا بالمعايير التي تضعها الجماعة لضبط سلوكها. وتؤدي المعلومات إلى تعضيد تأييد الناس للرأي الذي تحتضنه الجماعة. وتسعى الجماعات لتحقيق الانسجام والوئام بين أعضائها Harmony ، ولتحقيق الوحدة والاتحاد والتماسك بينهم، بحيث يصبحون كياناً واحداً وجسداً واحداً ولذلك تبعد عنهم الآراء المعارضة، بحيث تحقق ما يعرف باسم التفكير الجمعي Group thinking (٤).

ولكي يؤدي هذا التفكير الجمعي إلى القرارات الذكية، فلا بُد من قيام الجماعة بجمع معلومات

وأدلة وشواهد وبيانات من جميع الجهات ومن جميع الاتجاهات المؤيدة والمعارضة، ولا بد أن تسعى لتحسين وسائلها في تقويم البدائل المتوفرة والحكم عليها حكماً موضوعياً دقيقاً خالياً من التعصب أو التحيز، أو قصور النظر. وكذلك لا بد من استفادة الجماعة من الاستبصار المشترك أو الموحد أو المترابط لدى أعضائها Combined insights أي فهم جميع أفراد الجماعة للأمور المعروضة ومن شأن هذا بيان وجهات النظر المختلفة، والنظر للموضوع المعروض من زوايا متعددة. وبطبيعة الحال لا بد وأن تأخذ الجماعات رأي الأقليات في الاعتبار، لأنه في بعض الأحيان يساعدها على صحة القرار فضلاً عن أن احترام رأي الأقلية من المبادىء الديمقراطية والإنسانية والإسلامية⁽٥⁾.

### ٣ ـ بيئة الفرد الاجتماعية:

وفي الحياة اليومية تمثل الجماعات التي ينتمي إليها الفرد بيئته الاجتماعية Social environment فهو ينتمي لعدة جماعات كجماعة المسجد والأسرة، والفرق الرياضية، وجماعة العمل، وأبناء الجيرة ... الخ. وهذه البيئة الاجتماعية تؤثر تأثيراً كبيراً في شخصية الفرد وفي نموه وفي إتجاهاته⁽٦⁾.

وتحدد الجماعة لكل عضو من أعضائها دوراً معيناً أو مجموعة من الأدوار Roles التي تني بما تتوقعه الجماعة منه. فهناك توقعات اجتماعية لمن يقوم بالأدوار الآتية:

١ ـ الأب.
٢ ـ الأم.
٣ ـ الطالب.
٤ ـ المعلم.
٥ ـ العامل.
٦ ـ العالم أو الباحث.
٧ ـ الموسيقار.
٨ ـ الخطيب.
٩ ـ الأديب.
١٠ ـ القائد.

وهناك بعض الأدوار التي لا شأن للفرد في اختيارها مثل دور الذكر أو الأنثى أو المراهق أو الشاب.

ويحدد دور الفرد نوع النشاط الذي تتوقعه منه الجماعة، فما تتوقعه من رجل الشرطة غير ما تتوقعه من «الأم المرضع» أو الطالب أو الطبيب. والأدوار تفيد في تحديد تفاعلاتنا اليومية مع الآخرين. وإذا تعارضت الأدوار التي يتعين على الفرد الواحد الوفاء بها، فإنها توقعه في القلق وعدم الراحة، فهب

أنك كنت تعمل ضابطاً للمرور في مدينتك، وعلى حين فجأة جاء جنود الشرطة يقدمون لك ابنك لقيامه بارتكاب مخالفة مرورية.

هنا تقع في تناقض بين دورك كأب ودورك كضابط مرور مسئول.

## ٤ ـ تعريف التماسك الاجتماعي:

ومن معاني التماسك الاجتماعي أنه الرباط الذي يربط أفراد الجماعة ويبقى على العلاقات القائمة بينهم. وللتماسك معاني كثيرة، فلقد استخدم ليشير لأي من المعاني الآتية:

١ ـ الروح المعنوية للجماعة Group morale
٢ ـ الاتحاد أو الوحدة Cohesion
٣ ـ التنسيق بين جهود أعضاء الجماعة Coordination
٤ ـ الشعور بالانتماء للجماعة Feeling of Belonging
٥ ـ الفهم المشترك للأدوار Role understanding
٦ ـ العمل الجماعي بروح الفريق Team Work
٧ ـ التجاذب نحو الجماعة ومقاومة التخلي عن عضوية الجماعة.

وتشير طائفة من هذه المعاني إلى السلوك الجمعي، كما يظهر هذا السلوك في الروح المعنوية، وحماس الأفراد لأداء أعمالهم، والكفاءة في ذلك. ويمكن تعريف التماسك بأنه القوي التي تجذب الأعضاء إلى الجماعة وتدفعهم إلى البقاء فيها، ومقاومة التخلي عن عضويتها⁽⁷⁾.

ومن الجدير بالذكر أن تماسك الجماعة يؤثر ويتأثر بالعديد من العوامل الأخرى، فالعلاقة بين التماسك وغيره من العوامل الجماعية هي علاقة تفاعل وأخذ وعطاء وتأثير متبادل Interaction فالتماسك يؤثر ويتأثر بأهداف الجماعة، وبنجاحها أو فشلها في تحقيق هذه الأهداف، كما يتأثر بما لدى الأفراد من حاجات، وبمقدار نجاح الجماعة في إشباع هذه الحاجات. كذلك يؤثر التماسك في الروح المعنوية للجماعة، وفي نوعية العلاقات التي تسود بين أعضائها. وكذلك يتأثر التماسك بنوع القيادة التي تخضع لها الجماعة، فقيادة الشورى غير القيادة الاستبدادية. ولذلك تجذب الجماعات أعضاءها عن طريق الوعد بإشباع حاجاتهم، وكلما أشبعت هذه الحاجات، فكرت الجماعة في حاجات أخرى لمساعدتهم في إشباعها، وذلك حتى لا يقل انجذاب الأفراد نحو الجماعة، وضماناً للاستمرارية، والتجديد في أهداف الجماعة ونشاطها ووجودها. وفي البحوث العلمية، لا تصلح التعاريف الفلسفية

أو العامة أو الغامضة كالقول بأن التماسك الاجتماعي هو مشاعر التوحد مع الجماعة أو هو إرادة الجماعة، وإنما التعريف المفيد هو التعريف الإجرائي Operational definition الذي يشير إلى المواقف السلوكية الفعلية التي يبدو من خلالها التماسك، تلك المواقف التي يمكن قياسها وملاحظتها بدقة، ومن ثم تعديلها والتحكم فيها والتنبؤ بها⁽٨⁾.

## ٥ ـ المؤشرات الدالة على التماسك الاجتماعي:

لا شك أن تماسك الجماعة يعتبر أحد العوامل في تحديد قوة معايير الجماعة، ودرجة إنصياع الأعضاء لهذه المعايير.

ولكن كيف نستدل على تماسك الجماعة أو اتحادها، بعبارة أخرى ما المؤشرات التي نعتمد عليها في الحكم على تماسك الجماعة أو تفككها؟

في بعض الدراسات اتخذ الباحث عدد المرات التي يكرر فيها جماعة من الأطفال كلمة «نحن» وكلمة «أنا» في أحاديثهم على اعتبار أن كلمة نحن تعبير عن روح الجماعة كما تم حصر الكلمات والعبارات التي تعبر عن شعور أفراد الجماعة بالرضا. كذلك اتخذ عدد أصدقاء الفرد معياراً على تماسك الجماعة، وكذلك وجود معايير للجماعة، واتباع الجماعة لهذه المعايير واحترامها. ومن المعايير الهامة الدالة على تماسك الجماعة مقدار تكاتف الجماعة واتحادها وصمودها في وجه الأزمات أو ضد التهديدات التي تتعرض لها. ويقصد بالمعايير Norms تلك المستويات الخلقية التي تحدد السلوك الملائم في موقف معين⁽٩⁾. فإذا طلب منك أن تصعد إلى حافلة مزدحمة جداً بالركاب وعلى الفور تشرع في الغناء بأعلى ما تملك من صوت، فأغلب الظن أنك لن تقبل القيام بمثل هذا العمل. بل إن شكل المباني وطرق تصميم أبوابها تساعد على قيام الاتصال والعلاقات بين ساكنيها. فحيث تفتح أبواب المباني وجهاً لوجه يزداد عدد الأصدقاء عما لو كانت الأبواب تفتح على الشارع الرئيسي في المدن الجامعية مثلاً. فكلما كانت ظروف الاتصال بين الناس سهلة كلما زادت العلاقات بينهم.

ويمثل انصياع الجماعة لمعاييرها أحد مؤشرات تماسكها. فقد يقاوم العمال الطرق الجديدة في الإنتاج، وقد تتخذ هذه المقاومة شكل قلة معدلات الإنتاج عمداً، أو زيادة نسبة غياب العمال، أو إضرابهم أو ترك الأعمال وهجرها. ولكن هذه المقاومة تقل إذا تم إشراك العمال في اتخاذ القرارات أي في وضع المعايير.

وفي الجماعات غير المتماسكة وجد أنه سرعان ما ينفرط عقدها إذا ما تعرضت للخطر الخارجي أو للتهديد الخارجي. فالتماسك يساعد على صمود الجماعة، والصمود بذلك أحد مؤشرات التماسك. ولقد

دلت دراسات كثيرة على أن الجماعات المنظمة، مثل جماعات كرة القدم تكون أقل عرضة للتفكك والانحلال في حالة الإحباط أو الفشل Frustration and Failure عن الجماعات غير المنظمة مثل جماعات الطلاب الجدد الذين لم يسبق لهم التعارف أو الذين لم تقم علاقات سابقة بينهم.

من المؤثرات الدالة على تماسك الجماعة مقدار شعور الأعضاء بالرضا عن الجماعة، والرغبة في البقاء في عضويتها. ولقد ابتكر أحد العلماء طريقة لقياس مقدار رضا الأفراد عن جماعتهم، وذلك بأن أعطاهم ثلاثة صور من صور الاختبارات الإسقاطية (١٠)، وطلب منهم كتابة ثلاث قصص عن هذه الصور، واستدل، من خلال هذه القصص على حالتهم الانفعالية وشعورهم نحو الجماعة (١١). كذلك طبق اختباراً اشتمل على عدد من الأسئلة منها:

ـ هل ترغب في البقاء في الجماعة؟

ـ كم مرة ترغب في حضور اجتماعاتها؟

ـ إذا حلت جماعتك وبعد ذلك تم إعادة تكوينها فهل ترغب في الانضمام إليها؟

كذلك من المعايير الدالة على تماسك الجماعة مقدار مساهمة الفرد في نشاطها. ومن ذلك مقدار حضوره أو غيابه. فلقد وجد أنه كلما زاد شعور العامل بالرضا عن المؤسسة التي يعمل بها، كلما قلت نسبة غيابه، كما يظهر هذا الرضا في رضا العامل عن زملائه، وعن طبيعة العمل، وعن نظام القيادة والإشراف والملاحظة (١٢).

### ٦ ـ العوامل المؤثرة في تماسك الجماعة:

**ومن العوامل التي تؤثر في تماسك الجماعة ما يلي:**

**أ ـ إسهام الأعضاء في وضع أهداف الجماعة أي أن القائد لا يضعها بمفرده.**

**ب ـ إسهام الأعضاء في وضع الخطط والبرامج المؤدية لتحقيق الجماعة لرسالتها.**

**جـ ـ إسهام الأعضاء في وضع معايير الجماعة ومبادئها.**

**د ـ تحديد الأعضاء لنمط القيادة في الجماعة.**

**هـ ـ يتأثر التماسك الاجتماعي بالروح المعنوية السائدة في الجماعة**

وللقيادة دور فعال في تحقيق تماسك الجماعة، وذلك لأن الجماعة لا يمكن أن تعمل بلا توجيه.

فالأعضاء لا بد وأن يعتمدوا على قائد أو قادة يوجهونهم، فالقائد هو الذي يكرس طاقاته لصيانة الجماعة وحمايتها. وكلما زادت كفاءة القائد كلما زاد تماسك الجماعة. والقائد الكفء هو الذي يبصر الأعضاء بالأهداف المشتركة لجماعته ويشرحها لهم ويحثهم على الوفاء بها.

### ٧ ـ قوة جاذبية الجماعة:

للجماعة جاذبية أو قوة جاذبة تجذب الأعضاء نحوها، وهنا نتساءل مع القارىء الكريم، ما الذي يؤثر في هذه الجاذبية؟ ما الذي يجعل الجماعة أكثر جذباً لأعضائها؟

الجاذبية هي محصلة تفاعل القوى التي تجذب الأعضاء نحو الجماعة ونحو البقاء في عضويتها. ولذلك فإن للتوقعات والمفهومات والتصورات والمعايير المشتركة أثراً في هذه الجاذبية.

ما هي إذن العوامل التي تؤثر في جاذبية الجماعة لأعضائها؟ بعبارة أخرى ما الذي يجعل فرداً ما ينجذب نحو جماعة بعينها؟

يرى بعض علماء النفس أن هناك مصدرين للجاذبية:

١) الجماعة نفسها، فقد تضم الجماعة أفراداً يحبهم الفرد ويحب الالتقاء بهم، وقد تجذبه الجماعة بسبب الأهداف التي تتبناها، فالجماعة التي تستهدف تحفيظ القرآن الكريم ينضم إليها كل من يقدس هذا الهدف، والجماعة التي تستهدف تشجيع الناس على الهدى والتقوى والصلاح، بأن تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، ينضم إليها كل من يؤمن بهذا الهدف الجليل وهكذا. ولكن إذا لم تنجح الجماعة في تحقيق هذا الهدف قلت جاذبيتها لأعضائها.

٢) المصدر الثاني للجاذبية: هو مساعدة الجماعة للفرد لتحقيق أهداف خارج نطاق الجماعة ذاتها، كأن يتمتع بمكانة اجتماعية في بيئته المحلية أو لنيل الشهرة أو السمعة أو يحصل على الأجور والمكاسب المادية، أو لكي يشعر بالأمن والأمان. ولذلك فليس غريباً أن تزداد المجتمعات تماسكاً عندما يتهددها خطر خارجي أو داخلي، حيث يعتمد كل منهم على الآخر في تحقيق الأمن. فلقد دلت بعض التجارب المعملية على أن الإنسان في حالة الشعور بالتهديد يميل إلى البقاء مع إخوانه بني البشر عن البقاء بمفرده، وذلك للتخفيف من وطأة الشعور بالخوف والقلق، وللقيام بالاستجابات المناسبة(١٣). ومن ذلك ما يقرره علماء النفس من أن الطفل الوحيد والطفل الأول يشعران بقلق أكثر من غيرهما، وذلك بسبب الحرمان من الرفقاء. وأفراد الجماعة الذين يعتبرون أنفسهم أصدقاء أولاً وقبل كل شيء، يهتم كل منهم بالآخر كشخص ويتبادلون العون والمساعدة والتأييد ويسود بينهم الود. أما الجماعات التي

ينتمي إليها أعضاؤها كوسيلة لتحقيق أهدافهم (ربما كما هو الحال في بعض الأحزاب السياسية) فمن المحتمل أن تنقسم الجماعة إلى جماعات فرعية وتنشق على نفسها وأن ينتشر التنافس بين أعضائها.

وكلما كان انضمام الأفراد للجماعة تلقائياً حراً زاد تماسك الجماعة، أما الجماعات التي تتكون نتيجة الضغط الخارجي أو السلطة الخارجية، فإن تماسكها يكون أقل، من تلك الأحزاب السياسية التي تتكون من أعلى ولا تنبع تلقائياً من المجتمع.

فمن عوامل جذب الأفراد نحو الجماعة تحقيق الجماعة لمكانة عالية للفرد الذي ينضم إليها. أما إذا كان انضمامه إليها يؤدي إلى انخفاض مكانته الاجتماعية، فإنه لا يجد جذباً لهذا الانضمام. كذلك تزداد جاذبية الجماعة إذا قامت بين أعضائها علاقات تعاونية، بحيث يكون لكل عضو دور في نشاط الجماعة، وبحيث يسهم في رسم أهدافها وبرامجها وخططها، ويساهم أيضاً في متابعا نشاطها، ويعرف نتائجه. ويزداد التماسك كلما زاد تجانس الجماعة من حيث القيم والمعايير والمثل والأهداف المشتركة، وكلما زاد التفاعل بين الجماعة. ومن الجدير بالملاحظة أن الجماعات الأصغر حجماً تكون أكثر تماسكاً ربما بسبب توفر فرصة التفاعل الإيجابي بين أعضائها. فجماعة الأسرة أكثر تماسكاً من جماعة جمع طوابع البريد مثلاً.

وتتأثر جاذبية الجماعة، كذلك، بالظروف الاجتماعية الطارئة التي قد تؤدي إلى تغيير حاجات الناس، أو تولد حاجات جديدة، كوجود حالة من التهديد أو الحرب، فإذا قامت بعض الدول مثلاً بإجراء التجارب النووية في بقعة معينة من الأرض، شعر سكانها بالخطر وانضموا إلى جماعات لمقاومة التسليح النووي. وقد تشح المساكن في مجتمع ما فتتكون لذلك الجماعات التي توفر المساكن لأعضائها.

ومن الناحية النفسية قد يجد الفرد رغبة في الانضمام إلى الجماعة التي تشبهه لكي يفهم نفسه من خلالها، كما أنه يتقمص شخصيتها، ويشبع حاجاته للتقدير الاجتماعي والقبول والاحترام. ولذلك يساعد التشابه أو التجانس الفكري والعقائدي والمذهبي والقيمي والثقافي والسلوكي في انضمام الفرد إلى الجماعة، كما يؤدي إلى قوة جذبها وإلى صلابتها وتماسكها. ومن هنا كانت ضرورة توحيد المناهج والمقررات الدراسية، بل وتوحيد النظم وتطبيق الشريعة الإسلامية في كافة المجتمعات الإسلامية وبالطبع تقل جاذبية الجماعة وبالتالي يقل تماسكها إذا قلت أو اختفت هذه العوامل أو إذا اكتسبت الجماعة خصائص غير سارة أو مقبولة أو غير مشروعة أو تدخلت في أنشطة خطرة.

## ٨ ـ الآثار الطيبة لتماسك الجماعة:

ولتماسك الجماعة آثار طيبة ونافعة كثيرة، فالاتحاد قوة كما يقولون، ويد الله مع الجماعة، والمرء قليل بنفسه كثير بأخوانه، وكلما زاد تماسك الجماعة، كلما زاد شعور أعضائها بالمسئولية نحو الجماعة، وكلما زاد اهتمامهم بالمشاركة في نشاطها وفي اجتماعاتها، كلما اتسم الأعضاء بالمثابرة والسعي الجاد لتحقيق أهدافها مهما كانت صعبة. وبالطبع الجماعة المتماسكة تجعل الأعضاء يستمرون في عضويتها. وكلما زاد تماسك الجماعة كلما نجحت في تحقيق أهدافها، والاتجاه بكل طاقاتها نحو الخير والنفع والإصلاح والعمران، وكلما أصبحت أكثر قدرة على التأثير في أعضائها وفي غيرهم. كذلك فإن تماسك الجماعة يساعد في زيادة تشابه القيم السائدة بين أعضائها وتمسكهم بمعاييرها ومثلها ومبادئها.

فالجماعة المتماسكة توفر لأعضائها الأمن والأمان والاطمئنان والسكينة والاستقرار كما سبق القول.

ويقودنا التحليل، عند هذه النقطة، إلى التساؤل عن أثر التماسك الاجتماعي في معدلات الإنتاج؟

لقد دلت دراسات تجريبية على أن الجماعة المتماسكة يزداد إنتاج أعضائها، إذا طلبت منهم الجماعة زيادة الإنتاج عن الجماعة غير المتماسكة، أما إذا طلبت منهم خفض الإنتاج، فإنه ينخفض أكثر منه لدى الجماعة غير المتماسكة، ومؤدى ذلك أن الجماعة المتماسكة أكثر تأثيراً على أعضائها في مجال الإنتاج غير الجماعة غير المتماسكة سلباً أو إيجاباً.

ونخلص من ذلك إلى القول، بأنه، تحت الظروف العادية، فإن الجماعة المتماسكة يزداد إنتاجها! سواء من السلع أو من الخدمات وسواء كانت جماعة سياسية أو عسكرية أو مدنية.

## التماسك الاجتماعي في التصور الإسلامي:

لقد حرص إسلامنا الحنيف على تحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي. وللإسلام تصور كلي شامل ومتكامل عن كافة جوانب الحياة، يمتاز بالواقعية والتناسق. ولذلك يمتاز المجتمع الإسلامي بالمساواة، فالأرض أرض الله تعالى، وقد جعلها للناس جميعاً وليست قاصرة على فئة دون أخرى «والأرض وضعها للأنام» الرحمن (١٠) ولا تقوم الصداقة على فئة دون أبناء المجتمع وحسب بل تقوم بينهم وبين «الطبيعة» ذاتها التي سخرها الله تعالى لسعادة الإنسان ونفعه. فالعلاقة بين الإنسان وبين الطبيعة ليست علاقة خصام أو صراع (١٤) «هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً، فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه» الملك (١٥). والناس وإن اختلفوا، فإنهم لا بد أن يجتمعوا ويتحدوا ويتعاونوا ويتعارفوا ثانية

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» الحجرات ١٣.

ولم يمانع الإسلام في استخدام العقاب لرد من يخرج عن الجماعة، أو ينال من سلامتها «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض» المائدة ٣٣.

فالأصل، الذي يحرص عليه الإسلام، تحقيقاً للتماسك الاجتماعي، هو التعاون والعدل والحق والإنصاف والتعارف والتناسق في حدود منهج الله تعالى وشرعه. «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا» الحجرات ٩. فالإسلام يدعو أبناءه للإصلاح بين الناس، حتى لا يعم الشقاق والانقسام ربوع المجتمع الإسلامي. ويعقد الإسلام وحدة بين الفرد والجماعة لا ينفصم عراها.

لقد كانت الفلسفات السابقة تحار في التوفيق بين الفرد والجماعة، ومازالت بعض الفلسفات المعاصرة، إما أن ترجح كفة المجتمع على حساب الفرد وسعادته وحريته، أو تذهب إلى ترجيح الفرد على حساب المجتمع.

أما الإسلام الحنيف فقد نجح في التوفيق بين الفرد والجماعة على أساس من العدل والتعاون والحق والخير والمساواة، مؤكداً فكرة الوحدة والاتحاد «إن أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون» الأنبياء ٩٢. وانطلاقاً من مبدأ الشمول والتكامل، فإن العدالة الاجتماعية التي ارتضاها الإسلام هي العدالة الاجتماعية الشاملة، وليست العدالة الاقتصادية وحدها (سيد قطب)(١٥) كما يذهب الفكر الشيوعي. «ثم إن الحياة في نظر الإسلام تراحم وتواد وتعاون وتكافل محدد الأسس مقرر النظم، بين المسلمين على وجه خاص، وبين أفراد الإنسانية على وجه عام»(١٦).

فلا ينبغي أن تطغى مطامح الفرد على مصالح الجماعة، ولذلك يعالج الإسلام الحنيف الأثرة والشح. ولا ينبغي أن تطغى الجماعة على الفرد. وفي نفس الوقت لا يمكن حرمان الجماعة من جهود أفرادها وعطائهم وطاقتهم وإنتاجهم وفكرهم، ولذلك وضع الإسلام الحدود الكابحة لكل من الفرد والجماعة ليعيشا في تعاون وتناسق وتوازن وتكافل ورحمة وعدل.

ويسعى الإسلام لإنشاء المجتمع الفاضل، ذلك المجتمع الذي يتسم بالقوة والوحدة والاتحاد والتماسك والاستمرار والإسهام في البناء الحضاري العالمي. ويتطلب ذلك حسن صياغة الفرد

والمجتمع، بحيث يتوفر في المجتمع المبادىء الأخلاقية، ويتوفر العدل والحق والمساواة وتكافؤ الفرص والتكافل والتضامن والتماسك، ويحرر من الظلم والبطش والبغى والطغيان والأثرة والأنانية والضلال.

فلقد كرم الله بني آدم وفضله على سائر مخلوقاته، وهو الذي صنعه بيده، ونفخ فيه من روحه، وسخر له ما في السموات والأرض، وخلقه في أحسن تقويم وأسبغ عليه نعمه التي لا تحصى. ومن شأن هذا التكريم الرباني، من الناحية السيكولوجية، أن يبعث في نفس المسلم الشعور بالكرامة والعزة والرفعة والاعتزاز، لأنه من صنع الله تعالى، ولأنه أمر الملائكة أن تسجد له.

وتعبيراً عن أسمى معاني المساواة التي تقود للوحدة وتدعمها قول رسولنا الكريم «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى»(١٧) رواه البخاري ومسلم.

ومما يساعد على التماسك بين الناس إشعار الإسلام لهم بوحدة أصلهم فهم جميعاً من أصل واحد «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به الأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً» النساء/١.

ومن العوامل القوية المدعمة للتماسك الاجتماعي بين أبناء الاسلام وحدة العقيدة «إن الدين عند الله الاسلام» آل عمران ١٩. وتحيط روح التعاون المجتمع الإسلامي مما يدعم تماسكه واتحاده واعتماد أفراده على بعضهم البعض، ومساعدة بعضهم البعض «وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» المائدة/٢.

وهكذا يتضح للقارىء الكريم أن الاسلام الحنيف قد أقام مجتمعه المتماسك المترابط والمتحد على أسس إنسانية وخلقية بعيدة عن القهر والقسر أو العنف وبعيدة أيضاً عن الأنانية والأثرة أو تحقيق بعض الحاجات المادية كما تذهب الدراسات المعاصرة في إطار ثقافة الغرب وحضارته.

ما أحرانا أن نتحد ونتآلف ونعود إلى حظيرة ديننا الإسلامي الحنيف لنستظل بظلها ولنحقق مكانة أمتنا تحت الشمس.

●●●

## هوامش البحث

(١) عطوف محمود ياسين، دكتور، قاموس مصطلحات علم النفس، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان ١٩٨١.

(٢) Myers, D.G. Social psychology McGraw , Hill Book Co. New York, 1983.

(٣) مرجعه السابق. Myers D.G.

(٤) سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، بيروت لبنان ١٣٩٤هـ.

(٥) عبد الرحمن العيسوى، دكتور، دراسات في علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

(٦) لويس كامل مليكة، دكتور، سيكولوجية الجماعات القيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

(٧) عبد الرحمن العيسوى، دكتور، القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية، مصر.

(٨) Coon, D. Essentials of psychology, West Publishing Co., New York , 1982.

(٩) من أمثلة الاختبارات الإسقاطية، إختبار «بقع الحبر» وهو مكون من بقع من الحبر عديمة المعنى وغير واضحة موضوعة كل بقعة على بطاقة معينة يُطلب من المفحوص أن يفسر ما يراه فيها من عنده.

(١٠) لويس مليكة، دكتور، مرجعه السابق.

(١١) عبد الرحمن العيسوي، دكتور، علم النفس والإنتاج، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

(١٢) من هذه التجارب إتاحة الفرصة أمام مجموعة من النساء عرفن سوف يتعرضن لصدمات كهربائية موجعة، للاختيار بين بقاء الواحدة في غرفة الانتظار وحدها أم الجلوس مع زميلاتها.

(١٣) القرآن الكريم.

(١٤) سيد قطب، مرجعه السابق.

(١٥) سيد قطب، مرجعه السابق.

(١٦) صحيح الإمام مسلم.

* * *